

(الكلاحة) السياسية



25 نوفمبر 2021 - 09:25

إبراهيم أبراش

(الكلاحة) لفظ لا أصل له في قاموس اللغة العربية، هي كلمة من اللهجة الدارجة في فلسطين وبلاد الشام عموماً، ويُقصد بها الشخص الذي لا يستحي أو ما في وجهه دم، أو ما يختشي كما يقول الأخوة في مصر، أو وجهه مقصّدر كما يقول اخوتنا المغاربة، و المكّليح عكس الرجل الذي به سمة الحياء، وإن كان الحياء من مكارم الأخلاق فالكلاحة من أردلها.

المكّليح كوكيتيل من الصفات الممقوتة، فهو لا يستحي أو يخجل ووقح وغير مؤدب وجبان ومنافق وانتهازي وفساد ومدعي معرفة، فالمكّليح لا يتورع عن الكذب والنفاق دون أن يردعه دين أو قانون أو اخلاق أو حس وطني، وذلك لتحقيق مصالح خاصة. وهناك فرق بين الشجاعة والكلاحة، فالمكّليح يتظاهر بأنه شجاع مرأهنا على عدم معرفة الناس به أو جبن بعضهم أو كونه مسنوداً من جهة عليا، ولكنه في جوهره جبان رعديد وليس عنده حجة فيما يدعيه كما أن تصرفاته تضر بالآخرين، أما الشجاعة والجرأة فصاحبها يكون على حق وله خُلق نبيل وله حجته التي يُقنع بها الآخرين كما أن شجاعته لا تضر الآخرين.

المكّليحون هم الذين نعتهم الرسول الكريم في أحد احاديثه بـ (الروبيضة)، وحذر منهم الأديب الكبير نجيب محفوظ عندما قال: "ويل للناس من حاكم لا حياء له"، فهؤلاء أكثر خطورة في مجال السياسة مما في العلاقات الاجتماعية، فأضرار المكّليحين من الناس العاديين تمس البعض أما مخاطر واضرار المكّليحين السياسيين فتتمس عامة الناس وتضر بالمصالح الوطنية، والكلاحة السياسية لا تقتصر على الطبقة السياسية الحاكمة بل موجودة أيضا عند المعارضة السياسية، كما أن الكلاحة السياسية عند الطبقة السياسية في دول ومجتمعات خاضعة للاستعمار أو فقيرة تكون أكثر خطورة مما هي عند الدول المستقلة والمتحضرة.

نسبة كبيرة من النُخب السياسية العربية بما فيها الفلسطينية تتمتع بقدر كبير من الكلاحة السياسية حيث لا حدود لكذبها وكأن الشعب مجموعة من الجهلة أو المتسولين، تكذب في الحرب وتكذب في السلم، انتصاراتها أكاذيب ومنجزاتها اكاذيب، تكذب لأنها لا تخشى رادع يردعها، لا دين ولا أخلاق ولا قانون، والمصيبة أن المكّليحين يعرفون أنهم يكذبون ويعرفون أن الذين يستمعون لهم ويصفقون لهم يعرفون أيضا أنهم يكذبون، ومع ذلك يستمرون في الكذب.

النخب السياسية المكّليحة لا تستمع إلا لنفسها وما تمليه مصالحها ولا تنفيذ من اخطائها أو تحاول تصحيح مسارها، وما بين هذه النُخب المكّليحة والشعب شبه قطيعة،

فكلاحتها تجعلها لا تحترم الشعب أو تخاف منه، كما أنهم يتصرفون وكأنهم المرجعية الدينية والمرجعية القانونية والمرجعية الوطنية وكل من يعاديهم يتم تصنيفه كخائن أو كافر أو جاهل أو ناكر للجميل.

الكلاحة السياسية في مجتمعنا أصبحت مستفزة لأن أضرارها لا تقتصر على الفساد والإفساد بل تتعدى ذلك للمس بالمصالح الوطنية العليا، وفي ظل غياب الانتخابات النزيهة سيبقى الشعب محكوما بالكلاحة والمكلمين، ولأنهم مكلمون فلا تؤثر عليهم لا المظاهرات المنندة بهم ولا المقالات والتغريدات والعرائض المطالبة برحيلهم، وكما يقول المثل (إذا لم تستحي فأصنع ما شئت) وهم لا يستحون.